

قراءة في إنتاج إبراهيم خليل

سعاد أبو ركب*

إضاءة من حياته

فلسطين كانت مسقط رأس إبراهيم خليل، وتحديدًا قرية عانين، حيث كانت ولادته عام 1948م، درس في القرية حتى الصفّ السادس، ثمّ في جنين ثمّ نابلس، بعدها انتقل إلى الأردن ليكمل دراسته في الجامعة الأردنيّة، وقبل الحصول على الماجستير عمل معلّمًا في المدارس الثّانويّة. وفي العام 1973م تمّ انتدابه من الثّريّة لمكتب شؤون الوطن المحتلّ في الأردن، وكان إذ ذاك تابعًا لرئاسة الوزراء، فعمل محرّرًا صحفيًّا فيها تابعًا لشعبة الإعلام، ثمّ أتيحت له إعارة للمغرب، فغادر عمّان في شهر أيلول من العام 1977م، بقي هناك لمُدّة خمس سنوات هي مدّة الإعارة، وعندما عاد في شهر تمّوز من العام 1982م التحق بوظيفته السّابقة، وعمل في الوقت نفسه محرّرًا ثقافيًّا في جريدة صوت الشّعب. وفي هذه السّنة التحق ببرنامج الدّراسات العليا في الجامعة الأردنيّة، وحصل على الدّكتوراه في العام 1990م، وتقدّم بطلب تعيين للجامعة، فباشر العمل في 1992/9/5.

وطوال الفترة من 1970م وهي السّنة الّتي حصل فيها على الشّهادة الجامعيّة الأولى حتى عام 1992م لم يخل الأمر من عمل إضافي في الصّحف، حيث عمل أوّلًا في جريدة أسبوعيّة في عمّان، وفي جريدة الأخبار الأردنيّة قبل أن تغلق، وفي جريدة الشّعب في مرحلتها الأولى، أي قبل أن تغلق بقرار من الحاكم العسكري، ثم في صحيفة صوت الشّعب، الّتي استأنفت الصّدور في العام 1982م، بعد خمس سنوات من الاحتجاب. وعمل محرّرًا في (وكالة الوطن العربي للخدمات الصحفيّة) ونشر من خلالها عشرات المقالات والتّحقيقات، وفي صحيفة الرّياض ومجلّة الإمامة

¹ باحثة ومحاضرة في جامعة حائل - السّعودية.

السُّعُودِيَّتين، وعند صدور مجلَّة عمَّان، جرى اختياره عضوًا في الهيئة الاستشاريَّة، وقد ظلَّ في هذه الهيئة مدَّة خمس عشرة سنة نشر خلالها الكثير من المقالات والدراسات عن القصَّة والرِّواية والشُّعر وقضايا ثقافيَّة عدَّة. وفي أثناء عمله في الجامعة الأردنيَّة قضى إجازة التَّفْرِغ العلمي عام 1999م في كليَّة بنات عبري الجامعة في عمَّان. أمَّا الإجازة الثَّانية عام 2009/ 2011م فقد قضاهما في جامعة الملك سعود بالرياض، وجرى اختياره عضوًا مؤسسًا في مختبر السَّرديَّات فيها.

الخبرات العمليَّة والتَّعليميَّة

1- التَّدريس في المدارس الثَّانويَّة. 2- محرِّر غير متفرِّغ في الصَّحافة اليوميَّة في فترات متقطِّعة ومتباعدة في جريدة الأخبار، وصحيفة الشَّعب، وصحيفة صوت الشَّعب. 3- محرِّر إعلامي في دائرة شئون الأرض المحتلَّة ثلاث سنوات. 4- عضو هيئة التَّدريس في الجامعة الأردنيَّة. وتدرّس مساقات إضافيَّة في عدد من الجامعات الأردنيَّة. 5- عضو لجنة تأليف كتاب معجم أدباء الأردن بتكليف من وزير الثَّقافة. 6- عضو لجنة التَّحكيم في جوائز الدَّولة التَّقديريَّة والتَّشجيعيَّة غير مرَّة. 7- عضو لجنة إحياء مئويَّة عرار لسنة 1999م. 8- عضو الهيئة الاستشاريَّة لمجلَّة عمَّان الثَّقافيَّة الشَّهريَّة. 9- عضو لجان مناقشة الرِّسائل الجامعيَّة في الجامعة الأردنيَّة واليرموك ومؤتة والجامعة الهاشميَّة وعمَّان العربيَّة. 10- عضو لجنة تقويم المخطوطات المنشورة عن الدَّائرة الثَّقافيَّة في أمانة عمَّان الكبرى لسنة 2007/2008. 11- عضو لجان تحكيم البحوث في المجلَّات العلميَّة المحكَّمة ومنها: مجلَّة دراسات، المنارة، الأزهر الإسلاميَّة في غزَّة، إربد الأهليَّة للبحوث، ومجلَّة الرِّزقاء للبحوث والدراسات، والمجلَّة الأردنيَّة للغة العربيَّة وأدائها في جامعة مؤتة، والبلقاء للدراسات. 12- الإشراف على عدد كبير من رسائل الماجستير والدُّكتوراه.

1. النّشاطات البحثيّة

لخليل عدّة بحوث منشورة في مجلّات علميّة محكّمة كمجلّة دراسات، ومجلّة أبحاث اليرموك، ومجلّة مؤتة للدراسات والبحوث، وشارك في بعض المؤتمرات: كمؤتمر جامعة بيرزيت (1997)، ومؤتمر الحضارة الأندلسيّة في جامعة القاهرة (1998)، ومؤتمر مجادلة السائد في الأدب واللغة والفكر في كليّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة بتونس (1996)، ومهرجان العجيلي للرواية العربيّة في الرقّة بدعوة من اللّجنة المشرفة على المهرجان لسنة (2006)، ومؤتمر النّقد الأدبي الرّابع في جامعة البتراء الأردنيّة في (2007)، ومؤتمر النّقد العربي الحديث بين النّظريّة والممارسة في (2009) بجامعة عبد الرّحمن ميرة في بجاية - الجزائر... وغيرها.

أ- الأبحاث المنشورة في المجلّات

- 1- مجلّة دراسات للعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة: جهود النّاعوري في حركة التّجديد الشّعري مج 21 ع 1 سنة 1994. إحسان عبّاس والنّقد النّصي، مج 22 ع 3 سنة 1995. التّأثير المتبادل بين شعر النّاعوري ونقده مج 22 ع 6 سنة 1995. المقطع العروضي في ضوء الدّراسات الصّوتيّة مج 24 ع 1 سنة 1997. مذهب ابن بسّام الشّتريني في تتبّع معاني الشّعري مج 29 ع 1 سنة 2002. سيبويه والتّغيير الفونولوجي في صوائت اللغة العربيّة وصوامتها مج 29 ع 1 سنة 2002. موسيقى الألفاظ ودلالاتها قراءة ثانية في شعر تيسير سبول، مج 30 ع 3 سنة 2003. صوتيّات ابن سينا في ضوء علم اللّسان الحديث، مج 32 ع 3 سنة 2005. ألفاظ الألوان ودلالاتها عند العرب، مج 33 ع 3 سنة 2006. قواعد التّماسك النّحوي عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء علم النّصّ، مج 34 ع 3 نوفمبر/ تشرين الثاني 2007م.
- 2- مجلّة أبحاث اليرموك: الشّخصيّة النّسويّة في الرواية العربيّة روايات ليلى الأطرش نموذجًا، مج 14 ع 1 سنة 1996.

3- مجلّة مؤتة للدراسات والبحوث: صورة الآخر في ثلاثيّة أحمد حرب الروائيّة، مج 14 ع 5، سنة 1999.

4- مجلّة كليّة الآداب جامعة القاهرة: الرّموز الإسبانيّة والأندلسيّة في شعر محمود درويش، ع مارس /آذار 1998 وهو عدد خاصّ بوقائع المؤتمر الدّوليّ الرّابع للحضارة الأندلسيّة المنعقد في آداب القاهرة.

5- مجلّة جامعة البعث-الظّواهر اللّغوية غير المطّردة في شعر ذي الرّمّة الأموي، مج 25 ع 1 سنة 2003.

6- مجلّة عالم الفكر: اليانصيب بين أنطون تشيكوف ومحمود سيف الدّين الإيراني، مج 28 ع 1 تموز-يوليو 1999 -الرؤية والتّشكيل الفنّي في أعمال رشاد أبو شاور، مج 28 ع 4 إبريل-يونيو 2000.

ب- البحوث المنشورة في المؤتمرات

1- اللّغة والإبداع الأدبي في أعمال محمّد عزيز لحبابي، المؤتمر الفلسفي في الجامعة الأردنيّة، المجلّة الفلسفيّة العربيّة، مج 4 ع 4 سنة 1996.

2- إسحق موسى الحسيني روائياً، ألقى بندوة الجامعة الهاشميّة في آذار 2002، ونشر في وقائع الندوة عن دار البشير واللّجنة العليا لإعلان عمّان عاصمة للثقافة العربيّة 2002.

3- تأثير التّقد الجديد في التّقد العربي الحديث في بلاد الشّام ومصر، مؤتمر جامعة مؤتة، الأدب منصّة للتّفاعل الحضاري، تاريخ 2005/5/25.

4- استقبال التّظريّات التّقديّة نحو النّصّ نموذجاً، مؤتمر جامعة البتراء 2007، ونشر في عدد خاصّ من البصائر المحكّمة.

الكتب:

- 1- الشّعر المعاصر في الأردن (1975). 2- في الأدب والنّقد (1980). 3- من يذكر البحر؟ قصص قصيرة (1982). 4- تداعيات ابن زريق البغدادي الأخيرة، شعر (1984). 5- في القصّة والرّواية الفلسطينيّة (1984). 6- مقالات ضدّ البنيويّة (ترجمة) (1986). 7- تجديد الشّعر العربي (1987). 8- الانتفاضة الفلسطينيّة في الأدب العربي (1990). 9- فصول في الأدب الأردني ونقده (1991) 10- أحاديث في الشّعر الأردني والفلسطيني الحديث (1992). 11- أوراق في اللّغة والنّقد الأدبي (1993). 12- غبار وأقنعة لمحمود سيف الدّين الإيراني (تحقيق) (1993). 13- القصّة القصيرة في الأردن وبحوث أخرى (1994). 14- الرّواية في الأردن في ربع قرن (دراسة) (1994). 15- النّصّ الأدبي تحليله وبنائه (1995). 16- فخري قعووار، دراسة في فنّه القصصي، (1996). 17- أمين شتار الشّاعر والأفق (دراسة ومختارات) (1997). 18- الأسلوبية ونظريّة النّصّ (1997). 19- محمّد القيسي الشّاعر والنص (1998) 20- تحوُّلات النّصّ، (دراسات وبحوث) (1999). 21- الضّفيرة واللّهب (دراسات في الشّعر العربي القديم والمعاصر) (2000). 22- ظلال وأصداء أندلسيّة في الأدب المعاصر (2000). 23- جبرا إبراهيم جبرا الأديب النّاقداً، (2001). 24- في النّقد والنّقد الألسني (2002). 25- أقنعة الرّأوي (دراسات في الخطاب الرّوائي العربي) (2002). 26- مقدّمات لدراسة الحياة الأدبيّة في الأردن (2003). 27- النّقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التّفكيك (2003)، ط2 (2007). 28- مدخل إلى دراسة الشّعر العربي الحديث، (2007)، 29- نقّاد الأدب في الأردن وفلسطين، (2003) 30- تيسير سبول من الشّعر إلى الرّواية (2005). 31- من معالم الشّعر الحديث في فلسطين والأردن (2006). 32- فصول في نقد النّقد (2005) 33- شعراء تحت المجهر (2006)، 34- عروض الشّعر العربي (2007)، 35- في اللّسانيّات ونحو النّصّ (2007)، 36- مقاربات

في نظريّة الأدب ونظريّة اللّغة (2007)، 37- في الرّواية النّسويّة (2007)، 38- في دائرة الضّوء (شخصيّات وتراجم أدبيّة) (2007)، 39- من الاحتمال إلى الضّرورة (دراسة 2008)، 40- في لغة الأدب وأدب اللّغة (2008)، 41- مدخل إلى علم اللّغة (2010)، 42- المثاقفة والمنهج في النّقد الأدبي مساهمة في نقد النّقد، (2010) 43- بنية النّص الرّوائي (2010)، 44- في السّرد والسّرد النّسوي (2008)، 45- تأملات في السّرد العربي (2010)، 46- شعريّة القصّة القصيرة وحوار الأجناس، (2010)، 47- محمود درويش قبثارة فلسطين (2011)، 48- الصّوت المنفرد: من النّص إلى المتلقّي ومن المتلقّي إلى النّص (2011)، 49- من أدب البلدان في القدس وعمّان (2010)، 50- الرّواية، التّاريخ، السّيرة (دراسات في السّرد الرّوائي) (2012)، 51- واقع الدّراسات العربيّة النّقديّة في مائة عام (2012)، 52- قضايا لغويّة معاصرة بين النّظريّة والتّطبيق (2013) 53- راهن الدّراسات النّقديّة في الوطن العربي (2013)، 54- الأسلوبيّة العربيّة مدخل إجرائي (2014)، 55- أوراق وبحوث في أدب الأردن وفلسطين (2014).

2. بعض الكتب المشتركة

1- أديبان من الأردن (حسني فريز وعيسى النّاعوري) (1993)، 2- الحركة النّقديّة في الأردن، (1994)، 3- الشّعر العربي في نهايات القرن، (1997)، 4- نازك الملائكة أميرة الشّعر الحديث (2002)، 5- من أعلام الفكر والأدب في الأردن، دار البشير، عمّان بدعم من اللّجنة الوطنيّة لإعلان عمّان عاصمة للثقافة العربيّة، (2002) 6- أفق التّحوّلات في الرّواية العربيّة (1999)، 7- خصوصيّة الأدب النّسائي (2001)، 8- الشّعر في الأردن، وزارة الثّقافة (2001)، 9- معجم أدباء الأردن، الجزء الأوّل والثّاني، وزارة الثّقافة، عمان، (2006/2001)، 10- عودة السّارد. قراءات في التّجربة الرّوائيّة لرشاد أبو شاور، (1998)، 11- المغنيّ الجوّال، تحرير محمّد العامري، المؤسّسة

العربيّة للدراسات والنّشر (2001). 12- من الصّمت إلى الصّوت، بحوث مهداة إلى حسام الخطيب، أعدّها وقدّم لها أ. د. محمّد شاهين، (2000). 13- مؤنس الرّزّاز، عام على الرّحيل، (سنويّة مؤنس الرّزّاز) (2004). 14- مختارات من الشّعر الأردني / قصيدة، مع مقدّمة المختارات، وزارة الثّقافة (2005). 15- منيف والرّزّاز (2005). 16- مرايا التّدوُق الأدبي، (2005). 17- شعريّة الجذور، تحرير محمّد عبيد الله، (2006). 18- إحسان عبّاس (عامّ على الرّحيل) (2006). 19- منيف والرّزّاز، دراسات (2006). 20- هاشم ياغي إنساناً، وأكاديمياً وناقداً (2006). 21- خليل السّواحري الإنسان والأديب والنّاقد (2007). 21- خصوصيّة الرّواية العربيّة (2007). 22- ندوة ناصر الدّين الأسد (2008). 23- المرأة والدّور نظرة أردنيّة (2008). 24- معالم الحياة الأدبيّة في فلسطين والأردن (2009). 25- المرأة في الثّقافة الوطنيّة (2010).

قراءة في نقده

إبراهيم خليل ناقد متمرّس من كبار النّقاد في الأردن وفلسطين، اهتماماته النّقديّة متشعّبة، يتمتّع بثقافة واسعة، طرّق في كتاباته موضوعات متنوّعة، ولكن باب النّقد كان من أكثر الأبواب التي طرقها وألّف فيها؛ فميوله النّقديّة هي التي طغت على مواهبه الأخرى، فاخفت المواهب أو بقيت كامنة بداخله لتترك الباب مفتوحاً لذائقة نقديّة فذّة وبصيرة عالية بفنون الأدب ونقده، وقد أشار في مقابلة أجريت معه إلى ذلك بقوله: "إنّ النّقد يمكن أن يحبط التّجربة الإبداعية لأنّ المرء يحاسب نفسه ويقسو في الحكم على ما يكتب، لذا غالباً ما ينظر إلى إبداعه الشّعري والقصصي نظرة فيها شيء كبير من التّرّد"⁽¹⁾، ونقده جدير بالوقوف عنده؛ لاتبّسامه بالغرارة، "غير أنّ منطلق الاهتمام به لا يتوقّف على هذه السّمة، بل يتأتّى من طبيعة هذا

¹ - في حوار أجراه معه محمود الشّقيرات، <http://tafesh.ucoz.com/publ/5-1-0-225>.

الإنتاج الذي حافظ على تواصله مع الصحافة الثقافية كما حافظ من ناحية أخرى على الإنتاج الأكاديمي"⁽¹⁾، وهذا التواصل مع الصحافة الثقافية جعله على اطلاع دائم بمستجدات الأدب، التي لاقت جلَّ اهتمامه، فحاول الإحاطة قدر الإمكان بكلِّ جديد، وكتب دراسات نقدية- في الشعر والقصة والرواية- عديدة، في الصحف والمجالات؛ وهذا من الأسباب التي دعت إلى اختياره ضمن لجنة لتأليف معجم أدباء الأردن، كما كانت كتابته للمقالات الثقافية في المجالات والمناسبات، حافزاً له لجمع هذه البحوث والدراسات والمقالات بين طيّات الكتب.

عُني خليل بدراسة النصوص الأدبية، والنظريات النقدية، فكتب في نقد النقد، والنقد الثقافي، والنقد النسوي، والسرد الروائي، واللسانيات، والتلقي والتأويل، وعلم الأصوات، وعلم العروض، والأسلوبية، كما كتب في الشعر، والقصة القصيرة، وقد فاقت مؤلفاته خمسين كتاباً، أمّا مؤلفاته المشتركة فقد تجاوزت الثلاثين، فضلاً عن المقالات النقدية المنشورة في الصحف والمجلات، وبناءً على ذلك يمكنني تقسيم إنتاجه الأدبي إلى خمسة أقسام:

1- نقد الشعر:

حيث واكب إنتاجه النقدي الشعر العربي الحديث، وخاصة شعر الأردن وفلسطين، وخصَّص أغلب بحوثه ودراساته النقدية على الشعر الحديث والمعاصر، فكانت مؤلفاته من بين المراجع المهمة في هذا المجال، حيث درس إنتاج كثير من الشعراء المحدثين والمعاصرين، منهم على سبيل المثال: عرار، و تيسير سبول، و أمين شنّار، وحسني فريز، ونازك الملائكة، ومحمّد إبراهيم لافي، وعمر أبو سالم، و حسب

¹ - الأكاديمية والصحافة الثقافية في النقد الأدبي، إبراهيم خليل نموذجاً، شفيق طه النوباني، كلمة ألقيت في تكريم الدكتور إبراهيم خليل بتاريخ 2013/10/29م.

الشَّيخ جعفر، وشوقي بغدادي، ومحمَّد القيسي، وخالد أبو خالد، ومريد البرغوثي وغيرهم.

ودراساته في مجال نقد الشِّعر لا تتجاوز -في أغلبها- النُّقد التَّاريخي والاجتماعي والوصفي أحياناً، الَّذي يربط الشِّعر بالحوادث التَّاريخيَّة، والحياة الاجتماعيَّة، ففي حديثه عن الشَّاعر عمر أبي سالم مثلاً تبدو هذه السِّمة: "وقد امتزجت هواجس الرِّحيل بهموم الوطن. فعلى الرِّغم من تنقله وتجوَّله في البلاد والأقاصي، لا يشدُّه شيء كوجه بلاده، ولا شيء ينزعه من الكوايس غير ذلك الوطن..... فهو إذاً شديد التَّعلُّق بوطنه، ولا ينقذه من هذا الرِّحيل المتَّصل إلا أن يعود لبلاده، ولكن أتى له ذلك، والرَّحيل لا يؤذَن بانتهاء؟"⁽¹⁾

وكتابه "من أدب البلدان في القدس وعمَّان"، أفاض في الحديث عن كل الشُّعراء والرِّوائيين الَّذين تحدَّثوا عن القدس وعمَّان في أعمالهم الشِّعريَّة والنَّثريَّة وقد أعانه على ذلك سعة اطِّلاعه، والكتاب لا يخلو من جهد واضح، إلا أنَّه عبارة عن أبحاث ومقالات في مناسبات متفرِّقة وأزمنة متباعدة، فنجدُه عرضاً مستفيضاً عن القدس وعمَّان في الشِّعر والقصة والرِّواية، يكاد يخلو من تحليل متعمِّق للقصائد الشِّعريَّة؛ لأنَّه أراد رصد المواطن الَّذي ذكرت فيها عمَّان والقدس في الشِّعر والنَّثر المعاصر فقط، ونمَّثل على ذلك بقوله "وفي قصيدة أخرى له نجده يتغنَّى بالقدس، جاعلاً منها رمزاً للوطن بأسره، وذاكرة للشَّعب، فالحياة لا قيمة لها ولا معنى دون الوطن الَّذي هو القدس، كالإنسان الَّذي لا قيمة لحياته بلا ذاكرة"

أهديك ذاكرتي على مرأى من الزَّمن

أهديك ذاكرتي

¹ - من الشِّعر الحديث والمعاصر (بحوث وشخصيَّات)، إبراهيم خليل، دار داود للطباعة والنَّشر، بدعم من وزارة الثقافة، 2009م، ط1، ص 153.

ماذا تقول الشَّمس في وطني

ماذا تقول الشَّمس

هل أنت مِيتة بلا كفن

وأنا بدون القدس"⁽¹⁾

ولا يخفى على القارئ أنّ هذا لا يتجاوز التّحليل الوصفي للنّصّ، والأمثلة كثيرة في هذا الكتاب⁽²⁾ ولكنّ الجزء الأهمّ في هذه الدِّراسات هو سرد الكاتب لأغلب الدِّراسات السابقة التي تحدّثت عن الأديب المتحدّث عنه⁽³⁾، وهذا ممّا يسجّل له في أغلب مؤلّفاته.

2- نقد القصة:

وفي باب القصة تحدّث عن التّداخل بين الأديبين الأردني والفلسطيني، وقد تناول في هذا الباب العطاء القصصي في آخر ما وصلت إليه عطاءات كتّابه من تفنّن في الأداء، وتجديد في الأسلوب، وابتكار وتجريب في الرّؤى⁽⁴⁾، كما تحدّث خلاله عن نشأة هذا الفنّ وتطوّره في الوطن العربي، ونبّه على ظهوره قبل فنّ الرّواية في الأردن، حيث نتاج الكتّاب فيها أكثر نضوجًا، وقد تطوّرت القصة في شكلها وبنائها في وقت لاحق، حيث خطا بعض كتّاب القصة القصيرة بها خطوة إلى الأمام، فتجاوزوا بذلك الشّكل الذي ارتقى له الإيراني، غير أنّ خليل السّواحري مضى شوطًا أبعد في هذا الاتجاه، فجعل من قصصه القصيرة صورة نابضة بالحياة لتعبّر عن واقع يومي في

¹ - من أدب البلدان في القدس وعمّان، إبراهيم خليل، أمواج للنّشر، عمان، 2009م، ص 19.

² - ن.م.، ص 11-31، 90-104.

³ - ن.م.، ص 15-16.

⁴ - انظر: القصة القصيرة في الأردن، إبراهيم خليل، منشورات رابطة الكتّاب الأردنيين، دت، ص

الزّمان والمكان. ودخلت بعد ذلك تقنيّات مثل الفانتازيا والمفارقة الدّرامية السّاخرة، واختيار الشُّخص من الثُّراث والأساطير، وتكثيف الرّمز. ويجمل خليل القول في باب القصّة بقوله: "ونلمس ظاهرة التّجريب في مجمل العطاء القصصي الذي يصدر في أيّامنا هذه..... ولم يسلم من هذا التّوجّه حتّى الكتّاب الواعدون الذين يخطون خطواتهم الأولى في هذا الطّريق..."⁽¹⁾، بينما يمثّل ظهور القصّة القصيرة جدًّا الوجه الآخر لاقتراب القصّة من الشّعري، حيث الإيحاء، والإيماء، والتّعبير غير الصّريح، واللّجوء إلى المواردية والتّلميح، وفي ذلك تقوم اللّغة المجازيّة بإغناء النّصّ المكتّف في القصّة الومضة⁽²⁾.

وتابع المنهج التّاريخي في بعض مؤلّفاته مثل كتابه "مقدّمة في علم أصوات اللّغة" 2013م، حيث عرض فيه لجهود العلماء العرب والغرب في علم الأصوات عرضًا سريعًا، كما رصد مساهمات علماء الأصوات. وكذلك كتابه "القصّة القصيرة في الأردن" إضافة إلى المنهج التّاريخي نجد ربط الواقع بالتّجربة الشّعريّة والتّربّيّة والتّأويل الأسطوري⁽³⁾.

وجلّ حديث النّاقّد في مؤلّفاته عن القصّة القصيرة ينصبّ في طرحه لموضوع القصّة والعرض لمحاورها وعناصرها الرّئيسية، ثمّ ينتهي بتعليق عامّ وشامل حولها، فيتحدّث عن الفكرة الرّئيسيّة، والمكان، والتّشظّي والتّماسك، واللّغة، والأسلوب الشّعري، ومجمل نقديّ يربط القصّة المتحدّث عنها بغيرها من أدب القاصّ، وزمانها،

¹ القصّة القصيرة في الأردن، ص 30.

² انظر: شعريّة القصّة القصيرة وحوار الأجناس، إبراهيم خليل، وزارة الثّقافة، 2010م، ص 9-18.

³ انظر: القصّة القصيرة في الأردن وبحوث أخرى في الأدب الحديث، إبراهيم خليل، منشورات رابطة الكتّاب الأردنيّين. مثلاً ص 146، ص 152.

مركّزا على الرّمز والأسطورة، بأسلوب نقدي يتّكئ على المنهج التّاريخي غالبًا والرّمزي في أن واحد.

3- نقد الرّواية:

متابعة إبراهيم خليل للأخبار الثّقافية المستمرّة، النّابعة من اهتماماته الصّحفية التي ولدت مع بداياته الأولى، جعلت منه متابعًا جيّدًا لكلّ جديد من الأعمال الرّوائية، فلا تصدر رواية جديدة إلّا وهو على اطلاع بها، وهو يشير إلى اهتمامه بالأدب الجدير بالقراءة والدّراسة، بقوله: "لا أتناول فيما أكتبه إلّا ما أقتنع بوجودته، وبأنّه من الأدب الذي تقلّ فيه العيوب، ويُجمع على استحسانه كثيرون"⁽¹⁾، وهذا الاهتمام وهذه المتابعة أنجزت عددًا من المؤلّفات في الأدب العربي والرّواية العربيّة بشكل خاصّ، منها على سبيل المثال: "تأمّلات في السّرد العربي" الذي درس فيه قضايا متنوّعة في عدد من الرّوايات العربيّة التي لا تخرج في بعضها عن العرض للرّواية والتّحليل الواقعي والرّمزي تارة والاجتماعي تارة أخرى، ففي حديثه مثلًا عن رواية "رجال في الشّمس" لغسان كنفاني يقول بعد العرض للرّواية وربطها بالواقع: "وقد تنبّه دارسون فقالوا: أبا الخيزران يرمز للقيادات التّقليديّة المتخاذلة التي أضاعت الوطن ومع ذلك تتشبّث بمراكز القيادة، وأن الطّريق ترمز للبحث عن حلول فرديّة" رومانسية "لا تأتي بغير المأساوي والفاجع، وأنّ الخزّان -الفرن- يرمز لاحتراق الفلسطينيين بعد سنوات عشر من النّكبة، وأنّ المقلاة ترمز -هي الأخرى- لهذا النّفي الذي هو مرادف آخر للموت"⁽²⁾ ثمّ ينهي حديثه بقوله: "فما الذي تعنيه فكرة إلقاء الجثث الثّلاث في مكبّ للنّفايات نتن الرّائحة إن لم يعن هذه الحقيقة"⁽³⁾. وبعد

¹ <http://aljazeera.net/news/pages/3c3ec25e-e046-4775-a965-2097f8ad5fbb>

² - تأمّلات في السّرد الرّوائي، إبراهيم خليل فضاءات للنّشر والتّوزيع، ط1، 2011م، ص 53.

³ - ن.م.، ص 53.

الحديث عن تقنيّات السرد وأنواع الرّواية في رواية "من يؤنس السيّدة" لمحمود الرّيمائي يخلص للقول: "يمتلئ القسم الثّاني بالتّفصيل الدّقيقة عن حياة النّاس اليوميّة، مع لفت الانتباه لكثير من مظاهر الحياة الجديدة الّتي شُغف بها الجيل الجديد من الشُّبّان، وصغار السّنّ.."⁽¹⁾ فالرّوايات بلا شكٍّ ومهما كانت طرائق السرد وأنواع الرّواية، لا بدّ أن تشير إلى الواقع من خلال الأحداث والأشخاص والمكان.

وكتابه "في السرد والسرد النّسوي" يناقش فيه قضايا السرد من خلال مجموعة من الرّوايات، ومن الأمور الّتي تطرّق لها الكتاب، انكسار السرد التّمطي، المفارقة الرّمزيّة، وتقنيّات السرد المعروفة لدى القارئ، والتّنوع اللّغوي في الخطاب السردّي، وقراءات متعدّدة في السرد النّسوي، وغير ذلك، وهذه القراءات المتعدّدة المتنوّعة للرّواية تبيّن أنّ النّاقّد يتّجه في نقده من مداخل متعدّدة، متغيّرة باختلاف العمل الرّوائي، كما أنّه لم يقتصر بقراءاته النّقديّة في الرّواية ببلد دون آخر، إذ تناول روايات عربيّة من بلاد شتّى منها الأردن، وفلسطين، وسوريا، ومصر، والعراق، والجزائر... كما تناول "الرّواية النّسويّة العربيّة"، وقد كشفت دراساته النّقديّة للرّواية قدرة كبيرة وتمكّناً وإطلاّعاً واسعاً للفضاء الرّوائي في الوطن العربي والغربي.

4- تأريخ النّقد ونقد النّقد:

أمّا القسم الرّابع فقد اتّسعت مدارك خليل فيه بسعة هذا الفضاء؛ فلم يقيد نفسه بلون محدّد من النّقد، أو بنوع خاصّ من الدّراسات، كأغلب النّقّاد، حيث نجد عرضاً لأغلب المذاهب النّقديّة الحديثة، بدءاً من النّقد الكلاسيكي، مروراً بالنّقد الرّومانسي، والنّقد التّاريخي والاجتماعي والنّفسي....، ثمّ النّقد الجديد وبدايات النّقد النّصّي، فالبنويّة والنّقد اللّساني ونظريّة التّلقي وغيرها من النّظريّات، كما

¹ - المرجع نفسه، ص 53.

وجّه نقدًا لبعض المؤلفات في النّقد مثل كتاب صلاح فضل: (بلاغة الخطاب وعلم النّص) و (لسانيّات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب) لمحمد خطّابي، و(نسيج النّص) للأزهر زناد، و "مقدّمات في نظريّة الأنواع الأدبيّة" لرشيد يحيىوي⁽¹⁾، ومنهجه في نقد النّقد منهج علمي تحليلي يستند فيه للأدلة والبراهين.

وله في باب التّاريخ للنّقد عدّة مؤلّفات منها "في نظريّة الأدب وعلم النّص" وهو عبارة عن مجموعة من البحوث يجمعها دقّة المنهج، وحرصانة التّحليل، والاستشهاد والتّمثيل في موضعها المناسب، فضلًا عن الشّموليّة، وسعة الاطّلاع، وسلاسة العرض، وتسلسل الأفكار.

ومن كتبه النقدية الهامّة (النّقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التّفكيك) تحدّث فيه عن علاقة النّقد بالعلوم الأخرى، ثمّ انتقل للحديث عن الألسنيّة وتيارات النّقد المعاصرة الأخرى، وأتبع ذلك بأمثلة تطبيقية، طبّق من خلالها المنهج البنيوي على بعض القصائد، مثل قصيدة ثلج للشاعر عبد المعطي حجازي⁽²⁾، ثمّ تناول أمثلة تطبيقية بناء على نظريّة التّلقي، مثل قصيدة (غرفة المرأة الوحيدة) للشاعر أحمد عبد المعطي حجازي⁽³⁾، كما نجد محاولة للنّقد اللّساني⁽⁴⁾

وبشكل عام تمتاز مؤلّفات إبراهيم خليل النّقدية بسعة اطّلاعه، ومنهجه العلمي الرّصين المستند دائمًا للأدلة، ورؤيته الثّاقبة في تمييز المؤلّفات النّقدية والأعمال

¹ في نظريّة الأدب وعلم النّص (بحوث وقراءات)، إبراهيم خليل، منشورات الاختلاف، ط1، 2010م، ص 13.

² انظر: النّقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التّفكيك، إبراهيم خليل، دار المسيرة للنشر والتّوزيع والطّباعة، ط1، 2003م، ص 99-102.

³ نفسه، 122-126.

⁴ نفسه، ص 164.

الأدبية، والاستناد إلى المادّة النّظريّة مدعّمة بالنّقد التّطبيقي، المستند إلى مناهج نقدية عدّة مثل المنهج التّاريخي والبنوي واللّساني.

5- الإنتاج الإبداعي:

يضمّ عملين إبداعيين هما ديوان شعريّ، ومجموعة قصصيّة، وديوانه الشعري "تداعيات ابن زريق البغدادي الأخيرة" (1984) لا يخرج عن كونه فضفضة وتعبيراً عن ألم الغربة حيث غلّفت مقطوعاته الشعريّة نبرة الحزن وابتعدت عن الغموض والتّعقيد، وقد يُفسّر هذا بأنّ أغلبها كُتبت بالمغرب، بعيداً عن الوطن، ففاضت أشواقه مقاطع شعريّة معيّرة عن الحالة التّفسيّة التي يعانها، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "لم أكن أدعي في يوم ما إنّي شاعر أو قاصّ ولكتّني كتبت الشعر والقصة بطريقة عفوية، كنت أوّل من دهش بهذه التجربة؛ فعندما كنت في المغرب كان الإحساس بالغربة والحنين، وكانت الأشواق هي زادي اليومي، ومثل هذه الإحساسات تضخّمت وعبرت عن نفسها بهذه الأشكال القصصيّة والقصائد الشعريّة ولم يكن الأمر خاضعاً لرغبتني في أن أكتب هذا أو ذلك، ولم يكن هناك وقت لتخيّر أحد النّوعين دون الآخر".⁽¹⁾

مؤثرات في نقده

أعماله النّقدية بشكل عام جادّة، وفيها جهد أصيل يستحقّ التّنويه، لما تتوفّر عليها من إحاطة بالخريطة الإبداعية للمكان، والتّجربة النّقدية أيضاً، وغزارة نتاجه النّقدية تعود إلى سعة اطلاع، وتفرضه للكتابة، وعمله الصّحفي، ومتابعته لما يكتب فيها، كل هذا كان له دوره في اتّساع اهتماماته الأدبيّة، واتّجاهاته النّقدية، ودراساته

¹ <http://tafesh.ucoz.com/publ/5-1-0-225>

النقدية لم تلتزم بمنهجية محدّدة، فالمناهج النقدية التي أثّرت في نقده متعدّدة، منها النقد التاريخي، والاجتماعي، والوصفي، والبنوي، والأيدولوجي.

ولعلّ الفصل الدقيق بين المناهج النقدية المتّبعة غير صحيح، لأننا سنجد في بعض الممارسات النقدية معالجة نفسية، وأخرى اجتماعية، وثالثة لسانية؛ لذا سيجد المتصقح لإنتاج الدكتور خليل أثرًا لأغلب المناهج النقدية الحديثة؛ لمواكبته للأدب العربي والغربي، وإتقانه للغة الإنجليزية، فهو المترجم لكتاب "مقالات ضدّ البنيوية" عن اللغة الإنجليزية.

فقد اعتمد في قراءة النصوص الأدبية، أدوات وإجراءات المنهج التاريخي والمنهج الوصفي بداية، ثمّ عدل عنهما إلى أغلب المناهج النقدية، وقد سجّل عليه بعض النقاد متابعتة لأبرز الأدباء وتدوين سيرتهم الذاتية كمقدمة للحديث عن شعرهم، وعدّ ذلك تقييدًا بالمنهج التاريخي بحكم عام وشامل لجميع المؤلفات⁽¹⁾، والحقيقة أنّ خليلًا في مؤلفاته كلّها راوح بين أكثر من منهج في نقده، حيث سلك في معالجة القضايا التي درسها في مؤلفاته المنهج العلمي أحيانًا القائم على البحث والتحليل والتعليل، والمستفيد من معطيات المناهج الأخرى، مثل المنهج التاريخي والاجتماعي والنفسي والوصفي وغيرها.

لغة النقد عند خليل

إنّ لغة النقد اليوم تعاني كثيرًا من استخدام بعض المصطلحات النقدية غير المفهومة والتي يقصد منها النقاد المعاصرون الولوج بالمتلقّي إلى متاهات دون نتيجة

¹ - إبراهيم خليل ناقدًا (قراءات وبحوث) جمع وتحرير زياد أبو لبن، الأردن، 2012م، 11-20، مناهج النقد الأدبي في الأردن في النصف الثاني من القرن العشرين، أحمد ياسين العرود، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004م، ص 193.

تُذكر، وهي "لغة هي إلى العُجْمَة أقربُ منها إلى العربيَّة الفصحى"⁽¹⁾. وقد أشار الدكتور شكري ماضي إلى شكوى جمهور القراء من لغة النَّقد الحديث بقوله "يشكو الجمهور ومعه نقاد وأدباء كبار من غموض الكثير من الممارسات النَّقدية الجديدة، وقد ذكر نجيب محفوظ في معرض حديثه عن بعض أعداد مجلة فصول النَّقدية بأنه لم يفهم شيئاً"⁽²⁾ والدَّارس لإنتاج خليل يجد أنَّ لغته تميل إلى الرِّصانة، واستخدام المفردات الأصيلة، يتعد عن التَّعقيد، والإبهام والغموض، فأوَّل ما يشدُّ القارئ في مؤلَّفاته، لغتها القريبة للمتلقِّي، فمن يقرأ كتابه النَّقدي "النَّقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التَّفكيك" مثلاً لا حصراً - وهو كتاب نقدي بحث - سيشعر بهذا الاتِّجاه الهادف إلى التَّيسير والتَّسهيل لطلبة العلم والباحثين والقراء باختلاف ثقافتهم، وهذا يُفسَّر بتمكُّن المؤلِّف من مادَّته العلميَّة، لذا لن يكون بحاجة إلى الدُّخول في تلك المتاهات. الَّتِي لن تكون يوماً أداة توصيل، وهي الَّتِي يلجأ لها الجيل النَّاشئ من النَّقاد الَّذين يحاولون اصطناع لغة جديدة هي إلى الإبهام أقرب منها للتَّوصيل.

وقفه مع الأسلوب

والدِّقَّة لدى خليل ليس في اللَّفظ فحسب، وإنَّما في طريقة عرض المادَّة العلميَّة، فعرضه للأفكار يأتي متسلسلاً بأسلوب سلس، يحاول التَّمسُّك بالقارئ والأخذ بيده للغاية المنشودة، والهدف المراد، لذا أرى أنَّ منهجه مُيسِّر لطلبة العلم، يقصد منه الإفادة والتَّسهيل والإحاطة، لأنَّه يقف عند كل الموضوعات الَّتِي يقوم بطرحها، و يحصر المراجع والمصادر الَّتِي تحدَّثت فيها، ممَّا يسهِّل على الدَّارس العودة لتلك

¹ -مجلة الأدب الإسلامي، عبد القدوس أبو صالح، السَّنة الثَّانية، العدد الخامس، رجب 1415هـ، ص 112.

² -من إشكاليَّات النَّقد العربي الجديد، شكري عزيز الماضي، المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنَّشر، ط1، 1997م، ص 21.

الموضوعات فيما بعد، ويسهّل له مهمّة البحث والاستقصاء؛ ولعلّ السبب في ذلك سيطرة المنهج العلمي في دراساته وسعة إطلاعه، التي جعلت من مؤلفاته موسوعات متخصصة، تحيط بأغلب المصادر، في الموضوعات المطروحة للمناقشة، فمثلاً في كتابه "من الشعر الحديث والمعاصر بحوث وشخصيات" يتحدث في الفصل الأوّل فيه عن (حسني فريز وشعريّة الصّورة)، وهو في هذا الفصل يذكر جميع المراجع التي اهتمت بدراسة شعره⁽¹⁾، والإحاطة بالدراسات السابقة منهجه الغالب في جلّ دراساته ومؤلفاته، وهو منهج يختصر الطّريق على دارسي الأدب؛ وذلك لأنّه يقطع عليهم شوطاً طويلاً كفيلاً بأخذ جزء كبير من وقتهم وجهدهم.

ودقّة الملاحظة تظهر في دراساته النّقديّة، وحرّيّ بالنّاقد مثل هذه الصفة، فهو مثلاً في حديثه عن لغة الشعر ولغة النثر لدى نازك الملائكة⁽²⁾ يشير إلى خلطها بين رأيين لها، فمرة ترفض برأي القائل بأنّ اللّغة أداة، ومرة أخرى توافق هذا الرّأي وتشير بقولها: إنّ اللّغة أداة، وهذه الملاحظة وغيرها من الملاحظات الدّقيقة التي نجدها في ثنايا مؤلفاته، لا يطلقها إلّا من جاهد نفسه بالقراءة والتّحصيل والإلمام، وربط الآراء والمقارنة بينها.

ويمتاز أسلوبه أيضاً ببُعده عن الأشكال الهندسيّة والرسوم التّوضيحيّة أثناء طرحه للمادّة العلميّة؛ وذلك لميله للسهولة والبعد عن الغموض.

وقد أخذ عليه كثيرون بُعدُه عن المجاملات، فمقالاته النّقديّة كثيراً ما استفزّت بعض الكتّاب والشّعراء الذين اعتادوا من النّقاد الإشادة والتّقريظ لا غير. وهو يفضّل تجاهل الأعمال الأدبيّة التي لا تروق له لدى القراءة الأولى، اعتقاداً منه أنّ

¹ - من الشعر الحديث والمعاصر "بحوث وشخصيات"، إبراهيم خليل، دار ورد الأردنيّة للنشر والتّوزيع، ط1، 2009م، ص 15-17.

² - من الشعر الحديث والمعاصر "بحوث وشخصيات"، ص 82.

الأعمال الإبداعية التي لا ترقى بالأدب إلى المستوى الرفيع ينبغي ألا يشغل الناقد نفسه بها، أو أن يعكف عليها النقاد.⁽¹⁾

ومما يمكن الإشارة إليه أيضاً في باب الأسلوب تكراره لنشر نفس الموضوعات في عدد من مؤلفاته مثلاً في كتابه "أوراق لسانية نقدية (بحوث ومتابعات) نجد الفصل الأول بحث بعنوان "استقبال النظرية اللغوية: مثل من لسانيات النص"⁽²⁾، وهذا البحث منشور أيضاً في الفصل الأخير (التاسع) من كتاب "في نظرية الأدب وعلم النص" بعنوان "استقبال النظريات النقد- لسانية: مثل من نحو النص"⁽³⁾، ومثل ذلك الفصل الأول من كتاب "ظلال وأصداء أندلسية في الأدب المعاصر"⁽⁴⁾ أعاد الكاتب نشره في الفصل الأول من كتابه "محمود درويش قيثاره فلسطين"⁽⁵⁾، إضافة لإعادة كثير من المعلومات في عدة كتب.

¹ أشار لذلك في لقاء مع الجزيرة نت بتاريخ 2011/11/21م

<http://aljazeera.net/news/pages/3c3ec25e-e046-4775-a965-2097f8ad5fbb>

² أوراق لسانية ونقدية معاصرة، إبراهيم خليل، دار مجدلاوي، ط1، 2013م، ص13.

³ في نظرية الأدب وعلم النص، ص289.

⁴ ظلال وأصداء أندلسية في الأدب المعاصر، مساهمة في الأدب المقارن، دار مجدلاوي، ط1، 2009م، ص17.

⁵ محمود درويش قيثاره فلسطين، إبراهيم خليل، دار فضاءات، ط1، 2011م، ص35.

الخاتمة

- يتبين لنا أنّ خليلاً لم يقيد نفسه بمنهج واحد محدّد يتبعه في كلّ دراساته النقدية، بل اتكأ على عدّة مناهج نقدية، وأثرت في نقده، مثل النقد التاريخي، والنقد الاجتماعي، والنقد الوصفي، والنقد البنيوي، والنقد الأيديولوجي، علماً بأنّ المنهج التاريخي أكثر المناهج بروزاً في نقده.

- إبراهيم خليل لم يعطَ حقّه الوافي من الدراسة، كناقذ قدّم للأدب والنقد العربي الكثير، والكتاب الوحيد الذي جمعت به الدراسات النقدية وأفرد للحديث عن نقده، هو عبارة عن بحوث ومقالات ناقشت نتاج خليل النقدي، وقام بجمعها زياد أبولين، لم تفِ الناقد حقّه، عمد بعضها إلى الثناء المطلق والعبارات البراقة، ولجأ آخرون إلى الانتقاد بدلاً من النقد، بينما حالف بعضهم الصواب فعدّدوا الإيجابيات ثمّ ذكروا الانتقادات.

- هذه الدراسة لم تتناول أعمال خليل بالتفصيل، ولكنّها ألقت نظرة عامّة شاملة على أغلب مؤلفاته رغم أهميّتها؛ وذلك لأنّ المقام هنا لا يتسع لعرض كلّ هذا الكمّ من المؤلفات، ولهذا سيكون حكمنا على مؤلفاته حكماً عاماً شاملاً يتوخّى الإحاطة بأغلبها، راجية من الله التوفيق والسداد.

المراجع:

1. أبو لبن، زياد. (جمع وتحريّر). إبراهيم خليل ناقدًا (قراءات وبحوث). الأردن: دن، 2012م.
2. خليل، إبراهيم. أوراق لسانية ونقدية معاصرة. ط1. د.م: دار مجدلاوي، 2013م.
3. خليل، إبراهيم. تأملات في السرد الروائي. ط1. د.م: فضاءات للنشر والتوزيع، 2011م.
4. خليل، إبراهيم. شعريّة القصّة القصيرة وحوار الأجناس. د.م: وزارة الثقافة، 2010م.
5. ظلال وأصداء أندلسية في الأدب المعاصر، مساهمة في الأدب المقارن. ط1. د.م: دار مجدلاوي، 2009م.
6. خليل، إبراهيم. في نظرية الأدب وعلم النصّ (بحوث وقراءات). ط1. د.م: منشورات الاختلاف، 2010م.
7. خليل، إبراهيم. القصّة القصيرة في الأردن وبحوث أخرى في الأدب الحديث. د.م: منشورات رابطة الكتّاب الأردنيين، د.ت.
8. أبو صالح، عبد القدوس. مجلّة الأدب الإسلامي، السنّة الثمانية، العدد الخامس، رجب 1415هـ، ص 112.
9. خليل، إبراهيم. محمود درويش قيثارة فلسطين. ط1. د.م: دار فضاءات، 2011م.
10. خليل، إبراهيم. من أدب البلدان في القدس وعمّان. عمّان: أمواج للنشر، 2009م.

11. الماضي، شكري عزيز. من إشكاليات النقد العربي الجديد. ط1. د.م: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997م.
12. خليل، إبراهيم. من الشعر الحديث والمعاصر (بحوث وشخصيات). ط1. د.م: دار داود للطباعة والنشر، بدعم من وزارة الثقافة، 2009م.
13. العرود، أحمد ياسين. مناهج النقد الأدبي في الأردن في النصف الثاني من القرن العشرين. د.م: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004م.
14. خليل، إبراهيم. النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك. ط1. د.م: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2003م.

الأبحاث غير المنشورة:

- 1- الأكاديمية والصحافة الثقافية في النقد الأدبي، إبراهيم خليل نموذجًا، شفيق طه التوباني، كلمة ألقيت في تكريم الدكتور إبراهيم خليل بتاريخ 2013/10/29م.

المواقع الإلكترونية:

<http://aljazeera.net/news/pages/3c3ec25e-e046-4775-a965-2097f8ad5fbb>

<http://tafesh.ucoz.com/publ/5-1-0-225>